

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

المجتمع المدني شريك التنمية المستدامة - العمل التطوعي أنموذجا -

Civil society as a local development partner -Example volunteer work-

عاشوري حمال الدين^{1*}، عطية وليد²

¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، (الجزائر)، djamelisso@hotmail.com

² جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، (الجزائر)، validatt84@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/01

تاريخ القبول: 2023/05/01

تاريخ ارسال المقال: 2023/03/24

* المؤلف المرسل

الملخص:

يعتبر العمل التطوعي أحد ركائز المجتمع المدني الذي ينخرط غالبا في عملية التنمية باختلاف أنواعها، من خلال المشاركة الإيجابية لمختلف فئات المجتمع، خصوصا لفئة الشباب المؤهل بدنيا ومعرفيا، والذين يمثلون النسبة الغالبة في المجتمع.

تهدف الورقة البحثية هذه إلى تبيان أهمية تكوين منظمات المجتمع المدني، وتأطير العمل التطوعي الفردي، لتحقيق التنمية المحلية الشاملة، وقد تبين أن تحقيق هذا المطلب رهين التنشئة على ثقافة التطوع، والانخراط في العمل الجمعيات والاتحادات والمنظمات، وتذليل كل ما من شأنه إعاقة هذا المسعى.

الكلمات المفتاحية: المجتمع المدني ؛ العمل التطوعي ؛ التنمية المستدامة ؛ ثقافة التطوع

Abstract :

Voluntary work is considered one of the pillars of civil society, which is often involved in the development process of all kinds, through the positive participation of various groups in society, especially for the category of physically and cognitively qualified youth, who represent the majority of society.

This research paper aims to demonstrate the importance of forming civil society organizations, and framing individual volunteer work, to achieve comprehensive local development.

Keywords: Civil society; Volunteer work; sustainable development; Volunteer culture.

مقدمة:

حظي موضوع التنمية باهتمام كبير من قبل الساسة، والمخططين، والدارسين من مختلف تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، باعتباره قضية تهم سائر بلدان العالم السائرة نحو تحقيق الرفاه العام. إن التنمية بمختلف أنواعها قد عرفت تغيرات وتطورات كبيرة تزامنت مع مستجدات العصر، الذي يعرف فيه المجتمع حراكا وتغيرا يمكن وصفه بالسرير ولو على سبيل المجاز، ولما كان الأمر كذلك دعت الحاجة إلى البحث عن آليات جديدة لتفعيل التنمية، من خلال ربطها بالموارد البشرية النشطة، والتي لها قابلية التكيف السريع مع متغيرات الحياة، ومستجداته؛ لجعلها (التنمية) شامل ومستدامة، في مخلف الفضاءات المجتمعية الحضرية وشبه الحضرية والريفية.

إن شمولية تطوع الشباب من بين الآليات الفاعلة في تجسيد التنمية، لما له من قدرة على تقديم قيمة مضافة للمجتمع، والمساهمة في تحقيق الرفاه. والحديث عن دور التطوع في صنع التنمية يقحم الشريك الآخر، والأساس في ذلك وهو الحكومة التي تهدف إلى مواكبة التطور على جميع المستويات، فتكون آخذة بمبادرة التنمية، والشباب المتطوع كشريك ومرافق، وفي أحيان أخرى يكون العكس. إذن فالعملية لا تنطلق من فراغ، بل ذات طابع ديناميكي، ونتاج تفاعل أطراف عديدة حكومية وغير حكومية، داخلية وخارجية.

وحسب التقرير الذي أعدته منظمة الأمم المتحدة لحالة التطوع في العالم فإن مساهمة التطوع في التنمية مدهشة إلى حد بعيد في سياق سبل العيش المستدامة ومفاهيم الرفاه المستندة إلى القيم. وعلى عكس التصور السائد، فاحتمال أن يتطوع الفقراء مماثل لاحتمال تطوع غير الفقراء، فهم يستفيدون من خلال التطوع من الميزات المتاحة لهم، والتي تتضمن المعارف والمهارات والشبكات الاجتماعية، وذلك لمنفعة أنفسهم وعائلاتهم ومجتمعاتهم المحلية.

كما أن قيم التطوع مهمة جدا لتعزيز قدرات الناس الأشد ضعفا كي يحققوا سبل عيش آمنة ولتحسين رفاههم البدني والاقتصادي والروحي والاجتماعي، ونشير هنا إلى أهمية المقاولات الاجتماعية التي قد تلعب دورا أساسيا في ضمان التموين الدائم للفئات الهشة (كل مستلزمات الحياة: نفقات التمدرس، غذاء، علاج...)، وضمان مدخول دائم يغطي المصاريف الالحياتية لهذه الفئات. فالمقاولات الاجتماعية يمكن اعتبارها ضمن منظمات المجتمع المدني إذا لم تكن هناك استفادة مالية شخصية لأعضائها. (تقسيم المقال إلى محاور أو مباحث بهذا الشكل)

المبحث الأول: تحديد المفاهيم المركزية:

لن نطيل هنا الحديث حول تعريف المفاهيم، وإنما سيتم تقديم تعريفين كموجهان لمداول المفاهيم في هذه الورقة البحثية. وهي كل من مفهوم المجتمع المدني، والعمل التطوعي، والتنمية المستدامة.

المطلب الأول: مفهوم المجتمع المدني:

ظهر مصطلح **المدني** قديماً عند الرومان، ثم اختفى ليعود بعد ذلك إلى الظهور في القرنين 17 و18 وربما يكون جون لوك (1632-1704) أول من استخدمه بعد الثورة الإنجليزية 1688م في نصه المشهور (رسالة التسامح 1689م) ثم توالى على دراسته ونقده جمة من الباحثين وعلماء الاجتماع والفلاسفة مثل هوبز (1588-1679) وروسو (1712-1778) وهيجل (1770-1831). وازدهر أكثر في عهد الدولة الحديثة¹ وفيما يلي تعريف لغوي واصطلاحي للتفصيل أكثر في مفهوم المجتمع المدني.

تتألف عبارة مجتمع مدني من مصدرين: "مجتمع" وهو صيغة ترد في اللغة العربية إما باسم مكان أو اسم زمان أو مصدراً ميمياً. بمعنى أنها إما حدث بدون زمان (إجتماع)، وإما زمان أو مكان حصول هذا الحدث (مجتمع القوم: اجتماعهم أو مكانه أو زمانه) وبالتالي فهو لا يؤدي معنى اللفظ الأجنبي الذي نترجمه "Society". والمصدر الآخر "مدني" فهو يميل في اللغة العربية إلى المدينة أو الحاضرة.

وفي اللغة اللاتينية يعد لفظ "civil" الذي يترجم بـ "مدني" المستند إلى الفكر الأوربي بعدة معان رئيسية هي بمثابة أضداد لها معنى "التوصيف" (قارن عبارة الشعوب البدئية في مقابل الشعوب المتحضرة) ومعنى "الإجرام" (قارن مدني في مقابل جنائي في المحاكم)، ومعنى الإلتواء إلى الجيش (قارن مدني في مقابل عسكري) وهكذا. فعبارة المجتمع المدني في الفكر الأوربي هو بناء على ذلك مجتمع متحضر لا سلطة فيه لا للعسكر ولا للكنيسة²

يعرف المجتمع المدني على أنه المجتمع المستقل في تنظيم حياته المدنية عن أي افتراضات مسبقة في إطار علاقات العيش الإنساني. وقد نشأت الإعتقادات الفكرية في ظل المجتمع المدني هي من شؤون الضمير الفردي وغير ملزمة للآخرين في علاقات العيش الإجتماعي ضمن مجتمع متعدد بالضرورة في اعتقاداته وآراءه الفكرية والإيمانية والإجتماعية والسياسية. وإلا فإن فرض ضمير على ضمير آخر هو بداية التسلط، ومن ثم العنف المتبادل. فالمجتمع المدني إذن أو العمران البشري -على لغة ابن خلدون- يفترض فكرة العقد الإجتماعي بين افراد المجموعة الإجتماعية، وبين البشر عموماً. وفي مثل هذه الحال يمكن للحكومة أن تكون حكماً مراقباً وليس مجرد ممثل لإيديولوجية أو طبقة مهيمنة³.

يشير حسين توفيق إلى المجتمع المدني على أنه عبارة عن مجموعة من الأبنية السياسية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية والقانونية التي تنظم في إطارها شبكة معقدة من العلاقات والممارسات بين القوى والتكوينات الإجتماعية في المجتمع، ويحدث ذلك بصورة ديناميكية ومستمرة من خلال مجموعة من المؤسسات التطوعية التي تنشأ وتعمل باستقلالية عن الدولة⁴.

ووسع سعد الدين إبراهيم لاحقاً مفهوم المجتمع المدني بأنه مجموعة من التنظيم التطورية الحرة التي تملأ المجال العام بين والدولة لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الإحترام والتراضي والتسامح والإدارة السلمية للتنوع و الخلاف⁵. وي طرح مفهوم المجتمع المدني في السياق التاريخي الراهن للجمعيات العربية ما يسمى المنظمات

الأهلية، التي تتشكل من كل التنظيمات ذات الطابع التقليدي مثل الجمعيات الدينية - التي تتشكل في غالبيتها بين تنظيمات المجتمع الأهلي - والجمعيات الثقافية المعبرة عن خصوصيات المجتمعات المحلية.

ويبدو أن هناك جدلاً قوياً بين الباحثين حول العلاقة بين المجتمع المدني والمجتمع الأهلي والتنظيمات التي تشكل كل واحد منها. فبينما يدافع برهان غليون عن أطروحته في المطابقة بين المفهومين، وبالتالي مدلولاتها في المجتمعات العربية، نجد من يرفض ذلك مثل حزمي بشار؛ الذي يميز بينهما باعتبارهما يشيران إلى مستويين مختلفين من التطور المجتمعي. لكن دون استبعاد فكرة أن تكون التنظيمات الأهلية جزءاً من المجتمع المدني في سياق الوضع العربي الراهن.⁶

المطلب الثاني: مفهوم العمل التطوعي:

العمل التطوعي نشاط إنساني هادف، يبين الجانب التكافلي مع المحيط الاجتماعي، والتكاملي مع المحيط البيئي الذي يعيش فيه المتطوع، ويمكن القول بأن فعل التطوع ممارسة لسبقة بمنظمات المجتمع المدني، لكننا سنفرق بين هذا المفهوم الأخير الذي يتميز بالعمل الجماعي الرسمي والمهيكل، ومفهوم العمل التطوعي الفردي أو حتى الجماعي الحر، غير المهيكل.

وتعتبر أمانى قنديل التطوع أو المبادرة الإرادية الحرة فعل شيء ما في إطار مجموعة من البشر... وقد نقلت عن خبراء الأمم المتحدة للتطوع هذا المفهوم باعتباره: "تخصيص بعض الجهد والوقت دون توقع عائد مادي، نحو أنشطة منتظمة (وأحياناً غير منتظمة) لتحقيق مصالح الجماعة ككل أو تسهم في رعاية وتمكين بعض المهمشين في المجتمع".⁷

فالعمل التطوعي إذن هو عمل الفرد أو جماعة المتطوعين غير المهيكليين بصفة رسمية على تقديم خدمة مجانية (مالية أو زمنية أو بدنية) لفرد أو جماعة أو للمجتمع المحلي، وتؤدي هذه الخدمة إلى حل مشاكل اجتماعية أو اقتصادية أو بيئية، وهذا العمل إما أن يكون بعد طلب المستفيد من الخدمة أو دون طلب، مع تكرار هذا العمل. فالمتطوع الريادي غالباً ما يتدخل لتنظيم حشود أو لتقديم خدمة أو توجيه للأفراد بطريقة عفوية ودون أن يطلب منه أو يصبو إلى مقابل مادي.

المطلب الثالث: مفهوم التنمية المستدامة:

التنمية هي عملية تراكمية مميزة تكاملية، تتم في إطار نسيج من الروابط بالغ التعقيد بسبب التفاعل بين العوامل الاجتماعية والإدارية والسياسية والإقتصادية هدفها ووسيلتها الرئيسية الإنسان. وتعني التنمية البشرية المستدامة عملية توسيع اختيارات أمام الأفراد وذلك بزيادة فرصهم في التعليم والصحة والدخل والعمالة والحرية.⁸

والتنمية المستدامة حسب ما ورد في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية هي: "نمط تنمية تضمن فيه الخيارات وفرص التنمية التي تحافظ على البيئة والموارد الطبيعية والتراث الثقافي للأجيال اللاحقة"⁹

أما التعريف الشامل لمفهوم التنمية البشرية المستدامة فقد عرفها برنامج الأمم المتحدة بأنها عملية توسيع خيارات أمام الأفراد، وذلك بزيادة فرصتهم في التعليم والرعاية الصحية والدخل والعمالة. وبهذا تقوم التنمية البشرية المستدامة على محورين:

الأول: بناء القدرات البشرية الممكنة من التوصل إلى مستوى رفاه إنساني وإقتصادي وعلى رأسها العيش في حياة صحية وطويلة، واكتساب المعرفة والتمتع بالحرية لمجتمع البشر دون تمييز.

الثاني: أن التوظيف الكفء للقدرات البشرية في جميع مجالات النشاط الإنساني من خلال توظيف منظمات المجتمع المدني والسياسة¹⁰.

المبحث الثاني: أهمية المجتمع المدني والعمل التطوعي:

للعمل التطوعي أهمية تتعدى جهات مختلفة بالمجتمع، بدأ من الشخص المتطوع، مروراً بالجهة المستفيد من خدمة التطوع، وصولاً إلى المجتمع الذي يكون فيه فعل التطوع. فالمجتمع الذي يسود فيه فعل التطوع يتسم بالتكامل بين مؤسساته وأفراده، ويسمح بالتشكل السريع والانتظام المناسب في المكان والزمان لمواجهة المتغيرات الطارئة (زلازل أو فيضانات...) أو الواسعة (تنظيم التظاهرات العالمية كالمنافسات الرياضية مثل كأس العالم لكرة القدم) فالأمثلة المتقدمة لن تستطيع المؤسسة المنظمة توفير الموارد البشرية المؤهلة لتنظيم النشاطات والجهود، بينما شمولية المجتمع المدني، وسرعة انتظام أعضائه المؤهلين غالباً، تسمح بتقديم الخدمة في وقتها ومكانه المناسبين.

أهمية التطوع بالنسبة للمتطوع: يحقق فعل التطوع للقائم به مكاسب نفسية ومعنوية (رمزية) بعد تقديم الخدمة وأحياناً حتى قبلها عند تصور ردة فعل المستفيد، وشخصية (الخبرة، حسن التعامل مع المواقف المختلفة). إن التطوع هو فرصة الشباب للاندماج في المجتمع، ومواجهة التهميش والاستبعاد، خصوصاً في ظل البطالة التي يعانون منها في حالة الجزائر في السنوات الأخيرة. فتقديم المساعدة للآخرين مدعاة لإثبات الوجود، ودفع فكرة عدم أهلية الشباب في إحداث التنمية، وحصر ممارساته فيما يتعلق بالترفيه والتسلية¹¹.

أما بالنسبة للجهة المستفيدة من خدمة التطوع فهي عديدة، وليست مبالغة إذا قيل أن التطوع يمكن أن يوجد في كل الفضاءات (الحكومة، والبيئة الاجتماعية (فرد، جماعة، تنظيم)، والبيئة الطبيعية)، بل إن العمل التطوعي يمكن أن يغطي احتياجات المجتمع، أن يكون داعماً ومرافقاً للمؤسسات الاجتماعية، ففي جائحة كوفيد 19 قد أثبت المجتمع المدني وزنه وحضوره الفعال في مختلف المرافق والفضاءات (داخل المؤسسات الصحية، وتنظيم التباعد الاجتماعي في الفضاءات العمومية...).

إن التقارير التي أعدتها لجنة الأمم المتحدة للتطوع سنة 2001 قد بينت وجود علاقة بين التطوع بشقيه المهيكل وغير المهيكل، والتنمية البشرية؛ فالبلدان التي تحتل المقدمة في تقارير التنمية البشرية، هي ذاتها التي يتحقق فيها أعلى معدلات التطوع (كندا، هولندا، السويد، الولايات المتحدة الأمريكية)¹². وتجدر الإشارة هنا إلى أن التطوع حسب التقرير نشاط لا يتوقع منه عائد مادي؛ أي أن المتطوع لا يطلب مقابل أو أن المقابل المادي يكون بسيطا ولا يتساوى مع الجهد والوقت المبذولين.

المبحث الثالث: العناصر التي يشارك من خلالها المجتمع المدني والعمل التطوعي تحقيقا للتنمية المستدامة

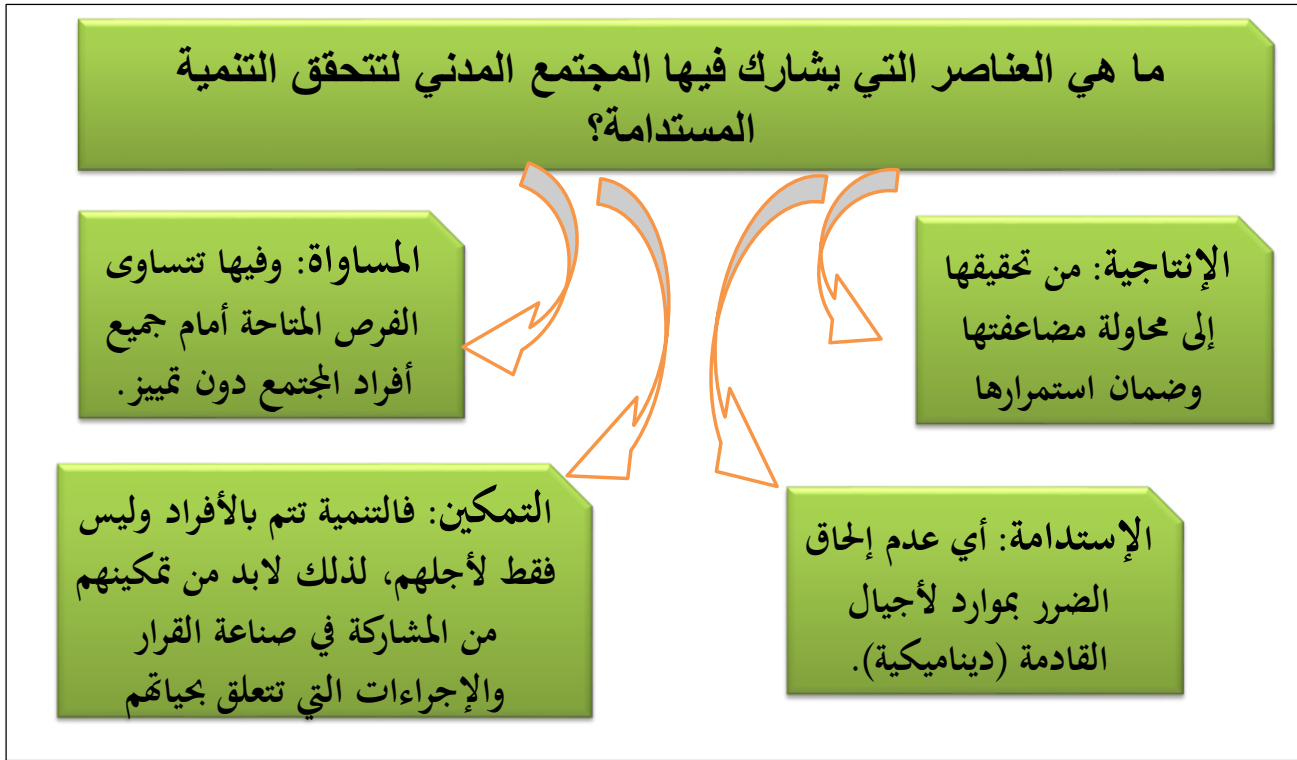
يمكن القول بأن المجتمع المدني والتطوع غير المهيكل له فضاء واسع للنشاط، والتأثير، ولا يقتصر على مجال دون آخر، إلا أن هناك أبعادا عناصر مهمة، وكل عنصر يختزل ضمنه مؤشرات ميدانية عديدة، منهجية التنمية: حسب تقرير مركز التنمية البشرية العالمي لعام 1995م على أربعة عناصر هي:

1. الإنتاجية: وهي قدرة البشر على القيام بنشاطات منتجة.
 2. المساواة: وفيها تتساوى الفرص المتاحة أمام جميع أفراد المجتمع دون تمييز.
 3. الإستدامة: أي عدم إلحاق الضرر بالأجيال القادمة (ديناميكية).
 4. التمكين: وهو أن التنمية تتم بالناس وليس فقط لأجلهم ولذلك عليهم أن يشاركوا بشكل تام في القرارات والإجراءات التي تشكل حياتهم وتبرر هنا بشكل خاص أهمية منظمات المجتمع المدني وإمكانية المحاسبة وتعديل المسار عند الضرورة. فالناس في التنمية ليسوا مجرد متلق سلبي، بل عامل فاعل في تشكيلها¹³.
- إن المجتمع المدني الفعال يمس جميع هذه الشروط من خلال عمله على تعبئة المجتمع وحمله على القيام بنشاطات منتجة. كما أنه يغيب العوائق التي تميز بين الأفراد على أساس جنسي أو عرقي وغيره - فيتحقق بذلك الشرط الثاني للتنمية المستدامة -.

أما مساهمة المجتمع المدني في التأثير على الشرط الثالث - الإستقامة - فتتجلى من خلال الحملات التوعوية والخطابات الموجهة للمجتمع بغرض الحفاظ على البيئة؛ الأمر الذي يساعد على استغلال ظروف الحاضر دون المساس بخيرات المستقبل.

لقد أعاد كاتب الدولة "بلقاسم ملاح" على هامش معاينة قطاعه بعين الدفلى على دور الحركة الجمعوية التي تقاعست بعضها في مهام التحسيس والتوعية في صفوف الشباب ما أنتج حسبه تسجيل حالات مشينة كظاهرة العنف والإختطاف. وأكد أن دائرته الوزارية ستنتهي تعاملها مع الجمعيات غير الفاعلة¹⁴. والشكل أدناه يلخص ما تم تقديمه في هذا العنصر.

شكل رقم 1: العناصر التي يشارك من خلالها المجتمع المدني والعمل التطوعي تحقيقا للتنمية المستدامة



المبحث الرابع: العمل التطوعي كضرورة في المجتمع خدمة للتنمية

بالعودة إلى مقاربة العقد الاجتماعي فإن انتظام الإنسان في جماعات اجتماعية قد دفعه إلى وضع قود وقوانين التعايش المشترك، وتفويض السلطة لفئة من الأفراد تشرف على ذلك وتنظم العلاقات، وتحدد الأدوار الاجتماعية. فالدولة إذن في منشأها تقوم على مبدأ تحقيق المنفعة المشتركة عن طريق التفويض الذي تمليه الضرورة، لاستحالة تنظيم متطلبات المجتمع من قبل جميع أفراد المجتمع. يفهم من هذا التقديم المختصر أنه كلما كان حجم المجتمع كبيراً قل انتشار المنفعة، وغاب حضور الدولة لتغطية الاحتياجات المتنوعة لأفراد تختلف تطلعاتهم ومطالبهم الحياتية، فكيف يمكن للمجتمع أن يتعايش مع هذا الواقع؟

إن الواقع الحياتي للمجتمع في تغير وتحول دائم، وتطلعات أفراده تتغير جيلاً بعد جيل، بل إن التغير في المطالب المجتمعية يتغير في الجيل الواحد وفي مدة زمنية قصيرة في بعض الأحيان، ويمكن القول بأن المجتمع المدني أقرب إلى هذا التغير من الدولة أو الحكومة، لذلك يوصي الباحثون ومراكز البحث الدولية المتخصصة بضرورة الاستثمار في المجتمع المدني والعمل التطوعي.

يستمد العمل التطوعي أهميته من اتساع مجال الفاعلين فيه في الجغرافيا والزمن، وهذا الأمر قد يكمل الجهود التنموية التي تشرف عليها الحكومة، فالتفاعلات اليومية والاحتكاك بالفضاءات المختلف لأوقات طويلة أمر من شأنه بعث المشاركة الواسعة للشباب، للمحافظة على المكاسب المحيطة بفضائهم الاجتماعي (على الأقل)؛

فالمساحات الخضراء التي يجري إعدادها قد تحتاج إلى كثير من الماء، خصوصاً في أوقات الحر، فالشباب الذي يكون له حس التطوع لا ينتظر الأوامر حتى يباشر عملية السقي عند الحاجة، وله في ذلك استراتيجياته الخاصة والمتاحة.

إن التوظيف العقلاني لفئة الشباب يشكل احتياطياً بشرياً فعالاً، تكون له القابلية للتشكل المنظم والسريع عند وقوع الحوادث والكوارث وإقامة التظاهرات الكبرى على المستوى المحلي والوطني، ليقدم خدمات تطوعية بالجدود والمهارة والخفة المناسبة، ودافعهم في ذلك هو الرغبة الشخصية لإثبات الوجود وترك أثر. والغاية من تشجيع هذا الشكل من التطوع حسب تقرير برنامج الأمم المتحدة¹⁵ من قبل الحكومات هو اعتباره شكلاً من أشكال المشاركة الشعبية الواسعة، ليس فقط لتحسين مستوى تقديم الخدمات، ولكن أيضاً لتعزيز القيم التي تركز التماسك والانسجام الاجتماعيين.

وحسب التقرير الذي أعدته منظمة الأمم المتحدة لحالة التطوع في العالم أن مساهمة التطوع في التنمية مدهشة إلى حد بعيد في سياق سبل العيش المستدامة ومفاهيم الرفاه المستندة إلى القيم. وعلى عكس التصور السائد، فاحتمال أن يتطوع الفقراء مماثل لاحتمال تطوع غير الفقراء، فهم يستفيدون من خلال التطوع من الميزات المتاحة لهم، والتي تتضمن المعارف والمهارات والشبكات الاجتماعية، وذلك لمنفعة أنفسهم وعائلاتهم ومجتمعاتهم المحلية. أن قيم التطوع مهمة جداً لتعزيز قدرات الناس الأشد ضعفاً كي يحققوا سبل عيش آمنة ولتحسين رفاههم البدني والاقتصادي والروحي والاجتماعي¹⁶.

ينمي العمل التطوعي القدرات الذهنية للفرد، ومهاراته السلوكية، فتصقل شخصيته نتيجة التفاعلات المتكررة مع المواقف الحياتية المختلفة، وتزيد خبرته الميدانية، "ويجعله أكثر معرفة وإحاطة بواقع المجتمع الذي يعيش ضمنه، والظروف التي تكتنفه"¹⁷.

يمثل العمل التطوعي ركيزة مهمة بالنسبة لقطاعات اقتصادية واجتماعية، لذلك يعتبر الفاعلين فيه شركاء حقيقيون، خصوصاً المتطوعين الذين يظهرون أنفسهم. فالسياحة مثلاً تقوم على التظاهرات العديدة، التي يكون فيها الشباب المتطوع دعامة أساسية لإنجاحها، سواء على مستوى تحسيس المواطنين بأساليب التعايش مع السائحين، والمحافظة على الثروات الطبيعية.

يعمل العمل التطوعي على تنمية القدرات البشرية، وذلك بدعم المشاركة على المستوى المحلي والوطني. إن مشاركة في العمل التطوعي الفرادي أو الجماعي قد يسهم في إقحام مختلف مؤسساته ومنظماته المجتمع المدني الأخرى في مشاريع التنمية، وبهذا تتضح أهمية المجتمع المدني باعتباره شريكاً اجتماعياً، واقتصادياً يؤدي إلى تعظيم قدرات الأفراد، وتحمل بعض المسؤوليات التي قد تتخلى فيها الدولة عن دورها، بحيث يعمل على إيجاد بعض الحلول الناجحة للمشكلات المتعلقة بالتنمية المحلية¹⁸.

ويمكن القول بأن المرصد الوطني باعتباره هيئة استشارية لدى رئيس الجمهورية تتضمن في أحد مهامه الجوهرية في المساهمة في إرساء أسس للتشاور بين كل فعاليات المجتمع المدني والسلطات العمومية، قصد جعل المجتمع المدني مساهما فعالا في التنمية الوطنية المستدامة، والمشاركة في كل الأعمال التي تبادر بها الهيئات والمؤسسات العمومية ذات الصلة بنشاط المجتمع المدني، لكن السؤال المطروح هنا: ماهي الآليات والإجراءات المنتهجة منذ التأسيس (2021) لتحقيق هذا المطلب؟

المبحث الخامس: المشاكل الواقعية التي تعيق الانخراط في المجتمع المدني والعمل التطوعي:

ليس عملا صغيرا أن تكون وسيطا اجتماعيا، أو أن تقوم بإعادة الاتصال بين أجزاء الشعب الممزقة والمشتتة من خلال الجمعيات التي تعمل بها، وأن تعمق الارتباط الاجتماعي وتحدث عملية المشاركة، ثم تنظم أشياء تتعلق بالتنبيه والاختار وغيرها¹⁹. فحسب مقولة عالم الاجتماع الفرنسي "روجيه سو" هذه فإن العمل الجماعي تواجهه مجموعة من المعوقات التي يمكن أن نحددتها في المعوقات الكامنة داخل التنظيمات الطوعية (الجمعيات)، والمعوقات الخارجية الخاصة بالبيئة السياسية الاجتماعية التي تتواجد بها هذه المنظمات:

بالنسبة للمشاكل الخاصة بالجمعية في ذاتها فإن تأسيس الجمعية وتنظيمها يحتاج إلى دراية وتكوين لا يستهان بهما، وهذا الأمر يحتاج إلى مراكز تكوين تضمن تدريبا عمليا للراغبين في تشكيل جمعيات. فتفسير منظمات المجتمع المدني وبالأخص في أيامه الأولى التي تعرف إقبالا محتشما للمتطوعين يحتاج إلى أعضاء فاعلين بالمجتمع المحلي، ويشترط تزكية أفراد المجتمع لهم ولو صوريا، وقد تمت مناقشة هذه الجزئية في الندوة الولائية التي نظمها المرصد الوطني للمدعم المدني بولاية سطيف الأشهر الماضية

تعاني بعض الجمعيات من عدم استقطابها لعناصر جدد، لعدم عثورها على آلية الاستقطاب المتماشية مع ثقافة المجتمع المحلي، فنسبة 51% من عينة الدراسة الممثلة في 120 ناشط بالعمل الجماعي بولاية الأغواط يقرون بذلك حسب أحد الدراسات الميدانية²⁰. كما أن الواقع قد أثبت استقالة النخبة المثقفة من العمل الجماعي بجميع نشاطاته، ونستطيع القول أن السبب في ذلك قد يرجع إلى معاناتها في فترة العشرية السوداء .

تعمل منظمات المجتمع المدني تحت الرقابة المشددة لدواعي أمنية في غالب الأحيان، بالأخص بعد الاحتجاجات المجتمعية المتعاقبة على الساحة العربية، وفي بعض الأحيان تنشط هذه المنظمات

تحت الوصاية السياسية. فغالبا الأحيان لا يفصل القائمون على الجمعيات بين الممارسة الشخصية للسياسية والنشاط الجمعوي الحر.

عدم التزام منظمات المجتمع المدني بنفس وتيرة النشاط طيلة السنة، فمعظم الجمعيات مثلا تتحرك في الايام الأخيرة من عمرها لتبرير صرف الاعانات التي تقدمها الدولة، ولتمديد عمرها، فبعض القائمين عليها يسبقون أهداف الأعضاء أو عضو واحد على أهداف الجمعية، فيلجأ جانب الشهرة التي تحققها لهم هذه الأخيرة في المجتمع المحلي، تسمح لهم بإذابة الاجراءات البيروقراطية للالتقاء بالفاعلين بالسلطة المحلية والولائية.

صعوبة الحصول على التمويل؛ إذ أن منظمات العمل المدني تواجه هذه المشكلة وخاصة أن طموحات القائمين على مثل هذه المنظمات تكون عادة أكبر بكثير من إمكانياتها المادية المتاحة وتشير الإحصائيات المتوفرة إلى أن الدعم الحكومي المقدم لقطاع المجتمع المدني لا يشكل سوى 26.5% من إجمالي التمويل المقدم لهذا القطاع وذلك على مستوى العالم، في حين تبلغ هذه النسبة زهاء 37.5% في الدول المتقدمة و 16.7% في الدول النامية والانتقالية إن هذا قد يشير إلى ضرورة زيادة الدعم الحكومي المقدم لهذا القطاع في الدول النامية²¹. وفي واقع منظمات المجتمع المدني بالجزائر فإنها تعيش على التمويل الذي تقدمه الدولة أو اشتراكات الأعضاء والتبرعات، لتحول هذه المداخل إلى الجهات المعنية بالاستفادة من إعانات الجمعية مثلا، وغالب الجمعيات يكون طموحها أعلا من إمكانياتها، فلا تستطيع إقامة التوازن بين المداخل والمخرجات فينتهي بذلك دورها وتفشل، خاصة وأن طبيعة العمل الجمعوي بالجزائر تغلب عليه الطبيعة التحويلية، أو الوسيط بين المستحق للإعانة والمقدم لها فقط، فلا نكاد نجد جمعيات تهدف إلى إنشاء مداخل مالية خاصة بها لتوظيفها في تطوير التعليم مثلا أو توجيه الشباب العاطل عن العمل وتأهيله ومرافقته إلى غاية نجاحه في إنشاء مشروع واقعي لا وهمي.

خاتمة:

إن الاعتناء بالمجتمع المدني والعمل التطوعي مطلب مهم بالنسبة للمجتمع الكلي، وعلى أفراد أن تكون لهم السبقية في الاهتمام بتنميته، إذ أنه يحقق الانخراط فيه على مختلف ألوانه وطوائفه إيصال الأفكار والمساهمة في عملية صنع القرارات، والتدبير الآتي لمختلف المشاكل الحياتية، كما يعتبر أحد محطات التكوين المهني والإداري المهمة بالنسبة للشباب الراغب في الانخراط في الحياة المهنية، كما أنه يسمح بتكوين شبكة علاقات واسعة مع مختلف

الفاعلين الاجتماعيين، والمؤسسات الاجتماعية العمومية والخاصة، فهو يمثل حلقة الوصل بين كل ما تقدم، وليس بين الطبقة الشعبية والحكومة وحسب.

ويمكن أن نقدم على ضوء ما تقدم التوصيات التالية:

- ❖ التقليل من القيود البيروقراطية المفروضة على نشاط الجمعيات والنوادي والاتحادات والنقابات العمالية، مع الأخذ بعين الاعتبار بأنها تكلف المتطوع نفقات لا طائل منها (التنقلات المتكررة، والتصحيح...) .
- ❖ التسريع في وتيرة منح اعتمادات التأسيس والتجديد بالنسبة لكل منظمات المجتمع المدني.
- ❖ البحث عن آلية لتحقيق التكامل والتنسيق بين جمعيات المجتمع المحلي.
- ❖ تقديم المساعدات المالية للجمعيات والاتحادات التي تعمل في ميدان المجتمع المحلي حقيقة، وتحفيز أصحاب المؤسسات على التبرع لها كما هو معمول به بالنسبة للجمعيات الرياضية.
- ❖ إعادة تشكيل المجتمع المدني في الفضاء الجامعي (خصوصا النوادي والمنظمات الطلابية) وتوسيع نشاطها وتنويعه، وتأطيره حتى يتجاوز نشاطه أسوار الجامعة.

الهوامش:

- ¹ محمد عبده الزغير: منظمة المجتمع المدني المعنية بالطفولة بالشرق الأوسط و شمال إفريقيا، المنظمة السويدية لرعاية الطفولة بالشرق الأوسط و شمال إفريقيا.
- ² محمد كامل الخطيب: المجتمع المدني والعلمنة، ط2، دار قرطبة، الدار البيضاء، 1994، ص20.
- ³ الشبكة العربية للمنظمات الأهلية العربية للعام 2003: مكافحة الفقر والإسهام في التنمية البشرية، دار نوبال، القاهرة، 2004.
- ⁴ القسطاس: (مجلة متخصصة تعنى بالثقافة القانونية والمجتمع المدني)، ملتقى المجتمع المدني في اليمن، العدد 54، مارس 2005.
- ⁵ العياش عنصر: المجتمع المدني المفهوم و الواقع (الجزائر نموذجاً)، مركز القاهرة لدراسة حقوق الإنسان، العدد 22، القاهرة، 2001، ص64.
- ⁶ هويدا عدلي: فعاليات مؤسسات المجتمع المدني وتأثيره على بلورة سياسة اتفاق للخدمات الاجتماعية، مركز دراسة الوحدة العربية، "ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية" المعهد السويدي بالإسكندرية، 3-10-2005، مصر، ص3.
- ⁷ أماني قنديل: الموسوعة العربية للمجتمع المدني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2008، ص117.
- ⁸ المعصم بالله الجوارنة، ديمة محمد وصوص: التنمية البشرية المستدامة والنظم التعليمية، ط1، دار الخليل، عمان، 2008، ص29.
- ⁹ ج. ج. د. ش: الجريدة الرسمية، عدد 17، الأربعاء 18 ذو الحجة 1423/ 19 فبراير 2003.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص44.
- ¹¹ يحتزل الخطاب الرسمي الشباب في عملية الترفيه والرياضة والفسحة، ولا يقحمه حقيق في عملية التنمية الفعلية، إلا في خطبه الشعبوية، فقرن اسم الشباب بالرياضة ابتداء، ثم استقل الاسم بوزارة يوزع فيها المسيرين من كبار السن بعض فتاة الريع على بعض الشباب في باب الترفيه.
- ¹² أماني قنديل: مرجع سابق، ص118.
- ¹³ ROGER Sue: la société civil face au pouvoir, presses de science politique, 2003, paris, p62
- ¹⁴ عديلة أمال: الفعل التطوعي في ظل التغير الاجتماعي في الجزائر، (مذكرة ماجستير في علم الاجتماع التنظيم والديناميات الاجتماعية والمجتمع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2012)
- ¹⁵ مكتب المنسق التنفيذية (برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين). تقرير حالة التطوع في العالم 2011: قيم عالمية من أجل الرفاه. تر: شركة برايم بروكشن المملكة المتحدة، على الرابط: http://www.dawahmemo.com/image/2014-10-11-04_31_162011.pdf, استرجع يوم: 2018/03/15، ص8.

- ¹⁶ المرجع نفسه، ص10.
- ¹⁷ طالي حفيظة، علي الطالب مبارك، العمل التطوعي ودوره في تنمية ثقافة المواطنة لدى الشباب الجزائري- الجمعيات الخيرية أنموذجا، مجلة السراج في التربية قضايا المجتمع، عدد 7، 2018، ص198.
- ¹⁸ المرجع نفسه، 109.
- ¹⁹ أحمد إبراهيم ملاوي: أهمية منظمات المجتمع المدني في التنمية. مجلة جامعة دمشق للعلم الاقتصادية والأمنية، (مجلد 24، عدد 2، 2008)، ص265.
- ²⁰ عديلة أمال: المرجع السابق.
- ²¹ المرجع نفسه.